

مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد التاسع، ربيع ١٣٩١هـ.ش/٢٠١٢م

دراسة صور التشبيه في الكلام النبوي الشريف

الدكتور محمد إبراهيم خليفه شوشتری *

الدكتور علي أكبر نورسيده **

الملخص:

التشبيه أسلوب من أساليب العرب البيانية وفيه تكون الفطنة والبراعة لهم في البيان. ويرجع بعض محاسن الكلام إليه. بما أن رسول الله (ص) كان رأس الفصاحة، ومجمع البلاغة، وذروة البيان بلا منازع، فكان (ص) يخاطب العرب بلغاتهم على اختلاف قبائلهم بأفصح بيان وأبلغه، فتحاول هذه المقالة البحث عن فن التشبيه ومظاهره في الكلام النبوي الشريف حتى يصور نبذة من بلاغة النبي (ص) وفصاحته. وطريقنا هو اختيار عدد من أحاديث النبي (ص) الشريفة التي وجدنا فيها صور التشبيه، والإفصاح عن البيان النبوي فيها. يبدو أن استخدام هذا الفن والفنون البلاغية الأخرى والمشملة على المعاني السامية المؤطرة بإطار بلاغي في كلام من كان يخاطب العرب التي تخضع لسلطان اللسان أكثر من سلطان السنن، كان من أبرز عوامل سيادة النبي (ص) على القلوب ونجاحه في رسالته، لأن الشكل وحده دون الأفكار والمعاني، قلب جامد لا روح فيه ولا حياة، ويزر هذا الأمر كثيرا عند علمنا أن رواية الحديث كثيرا ما تتم حسب المعنى وقلما جرت الرواية الحرفية. نرى أن النبي (ص) كان يستخدم التشبيه لتقريب المعاني السامية إلى إدراك السامعين وكثير من كلامه (ص) تشتمل صور التشبيه خاصة التشبيه البليغ الذي احتل مكانة مرموقة في كلامه الشريف. والجدير للانتباه هو سهولة لغة التشبيه عنده (ص) وورقتها بحيث يمكن استخراج وجه الشبه في أكثر التشبيهات النبوية بعد دقة وافية.

كلمات مفتاحية: التشبيه، الكلام النبوي، التشابه، أقسام التشبيه.

المقدمة:

* - أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد بهشتي، طهران، إيران.

** أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد بهشتي، طهران، إيران. noresideali@gmail.com

التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً. ويتفاضل الشعراء في هذا الفن وتظهر فيه بلاغتهم، وذلك لأنه يكسب الكلام بياناً عجبياً. هذا الفن من الفنون التي يوزن بها مستوى الكلام البليغ وبها تقاس مدى جودته. وقد كانت للنبي (ص) أحاديث شريفة نجد فيها ملامح تشبيه. نبحت نحن في هذا البحث نحاول العثور على جوابٍ لمكانة التشبيه في كلام النبي(ص) والأساليب التشبيهية التي استخدمها، والنمط الذي استوظفه النبي(ص) أكثر وسبب ذلك، وأنها كم كانت تساعد هذه التشبيهات على تقريب المعنى إلى ذهن المستمعين، ونبحت عن الدور الوظيفي للتشبيه في بيان المعاني، ومدى تأثر النبي (ص) في بيانه بالتشبيهات القرآنية.

أما بالنسبة لسابقة البحث الذي اخترناه فإنه يجب القول إنه لقيت دراسة الحديث النبوي من الوجهة البيانية اهتماما عند علماء الأدب والبلاغة، ومنهم:

«الجاحظ» (ت ٢٥٥هـ)؛ الذي جاء في كتابه «البيان والتبيين» بنماذج من أحاديثه (ص) وقارن بينها وبين أقوال بعض الشعراء، مقررّاً من خلال ذلك فضل كلامه (ص) على كلام غيره من البشر. وكثيراً ما يورد الأحاديث دون أن يعلّق عليها، وقد انتقده أحد الباحثين لإيراد بعض الأحاديث الموضوعية، وقال: «وقد لاحظتُ أنّ عدداً من هذه الأحاديث غير صحيح، بل قد ذكر العلماء أن بعضها من الموضوعات»^١. هذا ممّا يؤخذ على الجاحظ، وعلى عدد من علماء التفسير والدين والأدب الذين ذكروا بعض الأحاديث الموضوعية في كتبهم، دون أن يتثبتوا من صحّتها.

و«الشريف الرضي» (ت ٤٠٦هـ)؛ الذي يعدّ كتابه «المجازات النبوية» محاولة رائدة لدراسة الأحاديث النبوية من الوجهة البيانية، ويمتاز بسهولة العبارة، والإيجاز، قد استعمل بعض المصطلحات البيانية مثل؛ التشبيه والمجاز، والاستعارة، والكناية دون التعرض لما يدخل تحت كلّ مصطلح من المصطلحات السابقة من أقسام، وكان يستحسن بعض الأنواع البيانية مثل الاستعارة. هذا ممثالاً ينوّه فيه بالاستعارة، يقول: «ومن ذلك قوله عليه وآله الصلاة والسلام: في حديث يذكر فيه ظروف الساعة: «فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِهَا» وهذه من الاستعارة العجيبة؛ لأنّه عليه وآله الصلاة

^١ - محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، ص ١٨.

والسلام شبه الكنوز التي استودعتها بطون الأرض بأفلاذ الكبد، وهي شعبها وقطعها؛ لأنَّ شعب الكبد من شرائف الأعضاء الرئيسة، فذلك الكنوز من جواهر الأرض النفيسة، ولما شبهها عليه وآله الصلاة والسلام بأفلاذ الكبد من الوجه الذي ذكرناه، جعل الأرض عند إخراجها كأنَّها تقيت ودسعت^١. بما استودعته منها^٢. خلاصة القول: أنَّ الشَّريف الرُّضي عني بالجانب البياني في الحديث النبوي من ناحية المجاز خاصة، ولم يتناول بقية الجوانب البيانية تناولاً واسعاً، كما أنَّ المصطلحات البيانية عنده عامة، ومتداخلة أحياناً؛ لأنَّ علم البيان لم يدوّن حتّى ذلك الوقت بقواعد منظّمة.

و«ابن رشيقي القيرواني» (ت ٤٦٣هـ)؛ الذي استشهد في كتابه «العمدة» بكلام النبي (ص) على القواعد التي وضعها، ولم يكن يعمد إلى تحليل النّص ودراسته بيانياً، وإنّما كان كلامه موجزاً، وقد امتدح بيان النبي (ص). وفي بداية كلامه في باب البلاغة بدأ بكلام النبي (ص) ثمّ تبيّن بكلام غيره، ممّا يدلّ على تعظيمه للبيان النبوي قال: «تكلّم رجل عند النبي (ص) فقال له النبي (ص): "كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ حِجَابٍ؟" فقال: شفتاي وأسناني. فقال له (ص): "إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ الْإِنْبِعَاقَ فِي الْكَلَامِ، فَضَرَّ اللَّهُ رَجُلًا أَوْ جَزَّ فِي كَلَامِهِ وَاقْتَصَرَ عَلَى حَاجَتِهِ". وسئل رسول الله فيم الجمال؟ فقال: "في اللِّسَانِ". يريد البيان»^٤.

و«عبد القاهر الجرجاني» (ت ٤٧١هـ)؛ الذي استشهد بالحديث النبوي، قد أتى بأحاديث كثيرة في كتابه «أسرار البلاغة». أمّا أحاديث كتابه «دلائل الإعجاز» فقليلة. ومن الأحاديث التي أوردها قوله (ص): «النَّاسُ كِبَابِلٌ مِائَةٌ لَا تَجِدُ فِيهِمْ رَاحِلَةً». وعقّب عليه بقوله: «لا بدّ فيه من المحافظة على ذكر المشبه به الذي هو الإبل، فلو قلت: (الناس لا تجد فيها راحلة). أو (الناس لا تجد في

^١ - الدسع: الدفع، المعجم الوسيط، مادة (دسع).

^٢ - محمد بن حسين الشريفي الرضي، المجازات النبوية، ص ٢٠٤.

^٣ - الانبعاق: الصراخ، المعجم الوسيط، مادة (بعق).

^٤ - الحسن ابن رشيقي القيرواني؛ العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج ١، ص ١٦٧-١٦٨.

الناس راحلة) كان ظاهر التعسّف». ^١ والخلاصة أنّ عبد القاهر كان يستشهد بالحديث النبوي في تقريره للقواعد البلاغية التي وضعها، وقد كانت شواهده من الشعر أكثر من شواهده من الحديث.

و«ضياء الدين بن الأثير» (ت ٦٢٢هـ)؛ الذي استشهد في كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» بالحديث النبوي كثيراً، واعتبر أنّ الحديث النبوي هوآلة من آلات علم البيان. وهي عنده ثمان، فقال: «النوع السابع: حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي (ص) والسلوك بما مسلك القرآن الكريم في الاستعمال». فقد قسّم التشبيه إلى أربعة أقسام، ومنها تشبيه مركب بمركب^٢، وقال فيه: «وأما القسم الثاني وهو تشبيه المركب بالمركب، فمما جاء منه مضمرة الأداة ما يروي عن النبي (ص) في حديث يشتمل على فضائل أعمال متعددة ولا حاجة إلى إيراده ههنا على نصّه. بل نذكر الغرض منه، وهو أنّه قال له رسول الله (ص): «مَسِكْ عَلَيْكَ هَذَا» وأشار إلى لسانه، فقيل له: أو نحن مؤاخذون بما نتكلّم به؟ فقال (ص): «ثَكَلْتِكَ أُمُّكَ يَا رَجُلُ! وَهَلْ يُكَيِّبُ النَّاسَ عَلَيَّ مَنَّاخِرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». فقوله (ص) «حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» من تشبيه المركب بالمركب، فإنّه (ص) شبّه الألسنة وما تمضي فيه من الأحاديث التي يؤاخذ بها بالمناجل التي تحصد النبات من الأرض»^٣. وقد ذهب محمد الصباغ إلى أنّ ابن الأثير «من أكثر المتقدمين ضرباً للأمثلة من الحديث في كتابه المذكور»^٤.

و«محيي بن حمزة العلوي» (ت ٧٤٥هـ)؛ أشار العلوي إلى فضيلة البيان، وقال: «الفضيلة الأولى: أنّ الرسول (ص) مع ما أعطاه الله من العلوم الدينية، وخصّه بالحكم والآداب الدنيوية فلم يفتخر بشيء من ذلك، فلم يقل (أنا أفقه الناس) ولا (أنا أعلم الخلق بالحساب والطّب) بل افتخر بما

^١ - المرجع نفسه، ص ١٠٠-١٠١.

^٢ - ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص ٤٠-٤١.

^٣ - المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٠.

^٤ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٦.

^٥ - محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، ص ٥٥.

أعطاه الله من علم الفصاحة والبلاغة. فقال (ص): «أنا أفصح من نطق بالضاد»^١. وقد أتى العلوي بطائفة من الأحاديث النبوية التي استشهد بها على القواعد البلاغية التي وضعها في كتابه. كما تحدّث عن فضيلة البيان النبوي، فقال: «فإنّ كلامه (ص) وإن كان نازلاً عن فصاحة القرآن وبلاغته، في الطبقة العليا حيث لا يدانيه كلام، ولا يقاربه وإن انتظم أيّ انتظام»^٢.

يجدر الانتباه إلى أنّ هذه الدراسات تستوجب الإشادة والتنويه. لكننا قمنا بدراسة خاصة للتشبيه في الكلام النبوي حتى نبيّن على قدر استطاعتنا نبذة من البلاغة النبوية، وقد ذكرنا نصوص الأحاديث التي تتعلّق بفن التشبيه، وأشرنا إلى مواضع الأحاديث في (مشكاة المصابيح والمجازات النبوية). فقد قدّمنا نماذج من التشبيه في كلام النبي (ص) وبيّنا في استعماله المختلفة أنواع التشبيهات التي استخدمت وشرحناها. وإنّ ما نبحثه في هذه المقالة هو عرض فن التشبيه في الكتب البلاغية القديمة منها «مفتاح العلوم وشرح مختصر المعاني» وتطبيقها على عدد من كلمات النبي المرسل (ص) وبيان مكانة التشبيه وأهميتها في كلام أفصح من نطق بالضاد. وسعينا في تكميل ما عرضه المتقدمون في هذا المضمار وبيان ما فرّط عنهم. وضرورة هذا البحث ترجع إلى فقد بحث مفصل وخاص عن الصور البلاغية في الكلام النبوي (ص) واستنباط المعاني المكونة في طيّات كلامه (ص)، وعرضه على السامعين لتعرّف أكثر على مكانة النبيّ الأدبية السامية وفهم ميراثه الديني والأدبي. عسى أن يوفقنا الله في ما نبغيه.

التشبيه^٣

التشبيه لغة: التمثيل.^٤ واصطلاحاً: عرف الخطيب القزويني التشبيه بأنّه: «الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى». ويضيف: «والمراد ههنا ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية»^٥.

^١ - يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ص ٣٢-٣٣.

^٢ - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٦٠.

^٣ - التفتازاني، سعدالدين، شرح المختصر، ص ٢٨٧.

^٤ - الصحاح، مادة شبه

^٥ - التفتازاني، سعدالدين، شرح المختصر، ص ٢٨٧.

أ. أركان التشبيه

أولاً. المشبّه: عنصر من عناصر التشبيه الأربعة، ولا بدّ أن يشترك مع المشبّه به في وجه الشبه. نتكلم عن المشبه في الحديث الشريف التالي:

- قال النبيّ (ص): «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»^١.
قال الجرزي: «قد يَحْتَل إلى بعض السامعين أنّ الكاف في قوله " كَمَا تَرُونَ " كاف التشبيه للمرئي، وإنّما هو كاف التشبيه للرؤية، وهو فعل الرائي. ومعناه: ترون ربكم رؤيةً يزول معها الشكّ كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تمترون. قوله: " لا تُضَامُونَ " روي بتخفيف الميم من الضيم، المعنى: إنّكم ترونه جميعكم، ولا يظلم بعضكم بعضاً في رؤيته فيراه البعض دون البعض، وروي بتشديد الميم من الانضمام والازدحام، أي: لا يزدحم بكم في رؤيته، ويضمّ بعضكم إلى بعض من ضيق كما يجري عند رؤية الهلال مثلاً دون رؤية القمر، إذا يراه كل منكم موسّعاً عليه منفرداً به»^٢.

- فمعنى الحديث: سترون ربكم رؤية مثل رؤيتكم القمر. فالرؤية هنا بمعنى العلم أي ستعلمون ثواب ربكم وأنه الخالق الأحد الذي لا شريك له كما تعرفون حقيقة الهلال برؤيته في ليلة البدر. فالمشبه أمر معنوي وهو رؤية الرّب والمشبه به أمر معنوي أيضاً وهو رؤية القمر، كلاهما مشترك في الرؤية وإن كان هناك فرق بين رؤية الرّب ورؤية القمر لأنّ الأوّل أمر معنوي والثاني حسّيّ، وبما أن رؤية القمر يسهل على الإنسان ليلاً، هكذا يسهل على الإنسان رؤية الله ومعرفته عبر مظاهره ولا يظلم بعض الناس بعضاً في التعرّف عليه. ووجه الشبه سهولة الرؤية والتعرّف على الحقيقة إذا كان الإنسان بصيراً.

ثانياً. المشبه به

من المعلوم أنّ المشبه به هو الأصل؛ لأن وجه الشبه فيه أقوى منه في المشبه ولا بدّ أن يكون ملائماً للمشبه في وجه الشبه المعتر، واختيار المشبه به المناسب للمشبه هو من أسرار البيان التي لا يهتدي إليها إلّا من رزقه الله فهماً سليماً، وذوقاً عالياً. وفي ما يلي حديثان من النبي (ص)، نعقب كلاهما بكلامٍ حول سبب اختيار المشبه به وملائمته للمشبه:

^١ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج٣، ص ١٥٧٤.

^٢ - الجرزي (ابن الأثير)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ص ٥٥٨.

١- قال رسول الله (ص) متحدثاً عن الملكين الذين يأتيان المؤمن في القبر: « ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً فِي سَبْعِينَ. ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمِّ. فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ؟ فَيَقُولَانِ: نَمَّ كَنُومَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»^١.

- المشبه هونوم الميت المؤمن في مضجعه، والمشبه به هو نومة العروس، ووجه الشبه هو الراحة، دون الخوف. يلاحظ أنه (ص) مثل نوم المؤمن في القبر بنومة العروس؛ لأن الإنسان أعز ما يكون في أهله وذويه ليلة العرس فهي أرغد ليلة. ومن جمال هذا التشبيه أنه يؤنس نفس المؤمن بالموت، ويجعله غير خائف منه بل جعله مشتاقاً إليه. والمؤمن ذوعز في الملاء الأعلى كما أن العروس ذات عز عند أهلها. ولا شك أن هذه البلاغة الجميلة إنما حصلت بسبب انتخاب المشبه به المناسب.

٢- قال النبي (ص): «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا...»^٢.

قال الطيبي: « والغيث: المطر، وإنما اختير الغيث على سائر أسماء المطر ليؤذن باضطراب الخلق إليه حينئذ، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾^٣. « إنما ضرب النبي المرسل (ص) المثل بالغيث للمشاهدة التي بينه وبين العلم. فإن الغيث يحيي البلد الميت، والعلم يحيي القلب الميت. إن الغيث هو مطر يذهب الظمأ ويحيي الأرض، وأمّا غيث الإسلام الذي بعث به نبينا محمد (ص)، فهو يقي حر جهنم، ويقود المؤمن إلى الحياة الرغيدة في الدنيا والآخرة معاً، فشتان ما بين الغيثن، وإن بدا أهما متشابهان»^٤.

- فالمشبه هو بعثة النبي (ص) بالهدى والعلم لهداية الناس وتعليمهم، والمشبه به هو الغيث الكثير الذي يهطل على الأرض المجذبة. والوجه هو كثرة الخير الذي ينتج عن كلتا الحالتين. وغير خاف على

^١ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ١، ص ٤٦-٤٧.

^٢ - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٤.

^٣ - الشورى: ٢٨.

^٤ - الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، ج ٢، ص ١٢٥.

القارئ الكريم أنّ حسن انتخاب المشبه به المناسب قد لعب دوراً هاماً في درك المخاطب دركا صحيحا للمنافع المعنوية والمادية العظيمة التي جاء بها الرسول العظيم (ص).

ثالثاً. قيمة القيود في المشبه به

إنّ للقيود في المشبه به أهمية كبيرة في التشبيه، قال الدكتور محمد أبو موسى: «من عادة القرآن في رسم صورة التشبيه أن يذكر فيها من القيود وأحوال الصياغة ما يجعلها معبرة تعبيراً دقيقاً عن الغرض المطلوب، ولهذا القيود والأحوال شأن في صورة التشبيه، وللزمخشري وقفات في هذا المجال يدرك فيها أسرار هذه القيود ومعانيها الأدبية الدقيقة.»^١ إذا كان من عادة القرآن ذكر القيود التي تعبر تعبيراً دقيقاً عن الغرض، فإن ذلك من عادة الحديث النبوي (ص) أيضاً.

نذكر في ما يلي مثالا منه:

قال رسول الله (ص): «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ. تُعْبَرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى

هَذِهِ مَرَّةً».^٢

قال التوربشيتي: «العائرة»: أكثر ما تستعمل في الناقة وهي التي تخرج من الإبل إلى أخرى ليضرها الفحل، والجمل عائر يترك الشول إلى أخرى، ثم يتسع في المواشي.»^٣

- فالقيود في المشبه به هو عبارة «العائرة بين الغنمين. تُعْبَرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً» . ولهذا القيد أهمية في المعنى المستفاد. فقد ضرب النبي (ص) للمنافق مثل السوء؛ فالمشبه هو تردد المنافق بين الطائفتين من المؤمنين والمشركين تبعاً لهواه وقصداً لغرضه الفاسد وميلاً إلى ما يبتغيه من الشهوات، والمشبه به هو تردد الشاة العائرة وهي التي تطلب الفحل فتتردد بين الثلثين، فلا تستقر على حالٍ ولا تثبت مع إحدى الطائفتين. فتميل مرة إلى هذه الثلّة من الفحول ومرة إلى تلك الثلّة راجية أن تحصل على مرماها. ووجه الشبه هو كون الطالب متحيراً وأيضاً عدم الوصول إلى منشودها. يلاحظ أنّ هذا المعنى الذي أشير إليه هو بفضل القيود في المشبه به.

^١ - محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص ٤٠٧.

^٢ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ١، ص ٢٤.

^٣ - علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج ١، ص ١٢٨.

رابعاً. الطرفان من جهة المعقول والمحسوس

ذكر البلاغيون أن طرفي التشبيه يأتيان على أربعة أقسام هي: إمّا حسيان: كما في تشبيه الخدّ بالورد. وإمّا عقليان: كما في تشبيه العلم بالحياة. وإمّا مختلفان: والمعقول هو المشبه، كما في تشبيه المنية بالسبع. أو العكس: كما في تشبيه العطر بخلق كريم.^١ وفي البيان النبوي يهدف الرسول الأكرم (ص) إلى تقريب المعاني الكبرى المتعلقة بعالم الغيب والكون والإنسان والحياة إلى أذهان المخاطبين وقلوبهم عن طريق تشبيه الأشياء المعقولة بالأشياء المحسوسة.

وفي هذا الصدد، جاء في الكاشف نقلاً عن التوربشتي: « والمعاني إذا ارتفعت عن مدارك الأفهام، واستعلت عن معارج النفوس، لكبر شأنها، صيغت لها قوالب من عالم الحسن حتى تتصور في القلوب، وتستقر في النفوس».^٢

ولذلك يكثر تشبيه المعقول بالمحسوس في الحديث النبوي، وفي ما يلي مثال من تشبيه المعقول بالمحسوس:

١- قال النبي (ص): «مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِـ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، مُحِيٍّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ. وَمَنْ طَافَ فَتَكَلَّمَ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ، خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ بِرِجْلَيْهِ، كَخَائِضِ الْمَاءِ بِرِجْلَيْهِ».^٣

- شبه النبي (ص) للتقريب إلى الذهن المشبهة المعقول وهو حالة حوض الذاكر في رحمة الله بالمشبه به المحسوس وهو الرجل الذي يخوض برجليه في الماء. وشبه الرحمة بالماء، أي: شبه سعي المؤمن في حالة الذكر وكونه في رحمة الله تعالى بالخائض في الماء، فترك المشبه به وهو الماء وجعل القرينة الدالة عليه

^١ - الفخر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص ٩٢-٩٣. والسكاكي، مفتاح العلوم، ص ١٨٥. والخطيب

القزويني، التلخيص، ص ٢٤٣. والإيضاح ج ٢، ص ٣٣٥.

^٢ - علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج ١٠، ص ٣٠٤.

^٣ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ٢، ص ٧٩٥.

كلمة (خاض) ثم شبه هذا التمثيل « خاضَ في الرحمةِ برجلِهِ ». بما يزيد التصوير من قوله: « كَخَائِضِ الْمَاءِ بِرَجْلَيْهِ ». وكما يخفي الماء الرجل تماماً تغمر رحمةُ الله المؤمنَ فيكون غارقاً أو سابحاً فيها.

خامساً. أداة التشبيه

لأدوات التشبيه دور في إفادة المعاني الخاصة في التشبيه ويمكن تقسيمها إلى حروف وأسماء وأفعال،: « وأداته الكاف وكأَنَّ ومثل وما في معناه، وقد يذكر فعل ينبيء عنه، كما في علمتُ زيداً أسداً - إن قرب - وحسبتُ - إن بُعداً^١. نتحدث فيما يلي عن موضوعين:

حذف الأداة

حذف الأداة أبلغ من إثباتها.

١- قال رسول الله (ص): « تَعَلَّمَنَّ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ الطَّمَعُ فَقْرٌ. »^٢

هذا تشبيه بحذف الأداة، المشبه هو الطمع والمشبّه به هو الفقر ووجه الشبه هو: كما أن الفقير لم يُزل عنه الاحتياج، كذلك الطامع الحريص لا يشبع، بل يبقى محتاجاً. فنرى فيه التشبيه البليغ الذي سار فيه الطمع هو والفقر سواء.

٢- قال رسول الله (ص): « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ. »^٣

والمعنى: « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَتِمَكَّنُ مِنْ إِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ وَإِضْلَالِهِ تَمَكُّنًا تَامًا، وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ تَصَرُّفًا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. »^٤

- قوله: « مجرى الدم »: يجوز أن يكون مصدرًا ميميًا، وشبهه كيد الشيطان وجريان وساوسه في الإنسان بجريان دمه في عروقه، وجميع أعضائه. شبهه (ص) انتشار وساوس الشيطان وجريانها في فكر الإنسان بجريان الدم في عروقه. وإنه ملازمة وساوس الشيطان للإنسان وشوئها له، كملازمة جريان الدم للإنسان بحيث لا يحلومنه عضو وبهذه البلاغة النبوية الشريفة تظهر مدى صعوبة مجاهدة الشيطان

^١ - التفتازاني، شرح المختصر، ص ٣١٠.

^٢ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ١، ص ٥٨١.

^٣ - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٦.

^٤ - الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، ج ٢، ص ٥٢١.

والتغلب على وساوسه، حتى تكاد تكون أشبه بالأمر المحال، هذا وفي الحديث تشويق لخوض هذا الجهاد.

تقديم أداة التشبيه

يقدم حرف التشبيه إذا كانت الأداة «كأن»؛ هذا كما في قول النبي (ص) عن الشعر:

١- « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَكَأَنَّ مَا تَرْمُوهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ^١ ». ^٢ واللام في قوله (ص) « لَكَأَنَّ » زائدة لتأكيد القسم، والتقدير: والذي نفسي بيده إن ما ترموهم به كنضح النبل، لأن أصل « كأن » زيداً أسدٌ هو: « إنَّ زِيداً كَالْأَسَدِ » فقدّم حرف التشبيه بعد أن أبدله بـ « كأن » اهتماماً به. فلقد شبه النبي (ص) أبيات الشعر على أسماع الأعداء بوقع النبال على أجسادهم، فتصيب مقاتلهم، ووجه الشبه الإيلام الشديد الذي لا يطاق، وفي هذا مدح لدور الشعر الإيجابي في الدفاع عن كل ما تجب حمايته والدفاع عنه؛ كالدين والشرف والعزة والوطن.

وجه الشبه

وجه الشبه هو الجامع بين المشبه والمشبه به في وصف خاص أو حالة معينة كما يقول القزويني: «هو ما يشترك فيه المشبه والمشبه به تحقيقاً أو تخيلاً».^٣ وجه الشبه يكون صفة أو صفات معينة، ولا يراد جميع الصفات بالضرورة ويكون في المشبه به أقوى وأشهر. معظم التشبيهات النبوية محذوفة الوجود، ما يزيد على بلاغة كلامه (ص) مما جعل العلماء يعنون بذكر وجوه الشبه المحذوفة في أكثر التشبيهات النبوية. وسنتناول في ما يلي كيفية استعمال وجه الشبه في الحديث الشريف:

أولاً: حذف وجه الشبه بقصد التعميم

١- قال رسول الله (ص): «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْنَدُهُمْ مِثْلُ أَفْنَدَةِ الطَّيْرِ»^٤

١ - نضح النبل: رميه، المعجم الوسيط، مادة نضح.

٢ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ٣، ص ١٣٥٢.

٣ - الخطيب القزويني، مختصر المعاني، ص ٢٩٣.

٤ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ٣، ص ١٥٦٥.

- المشبه هو أفئدة أقوام يدخلون الجنة، والمشبه به هو أفئدة الطير والوجه يمكن أن يكون؛ مثلها في رقتها، كما ورد: "أَهْلُ الْيَمَنِ أَرْقُ قُلُوبًا وَأَضْعَفُ أَفئِدَةً" ^١، ويمكن أن يكون مثلها في الخوف والهيبة، والطير أكثر الحيوان خوفاً وفرعاً. يبدو أن المراد كلتا الصفتين وهي: الرقة والخوف، وذلك لأن الوجه مضمّر هنا بقصد التعميم (والله أعلم).

وقد تقرر في علم البيان: « أن وجه الشبه إذا أضمر عمّ تناوله فيكون أبلغ مما لو صرح به، فينبغي أن يحمل على المذكورات كلها، ومن ثم خصّ الفؤاد بالذكر دون القلب» ^٢.

ثانياً: وجه الشبه يكون في بعض الصفات لا كلها

هذا ما نجده في الحديث الشريف التالي:

١- قال رسول الله (ص): «مَثَلُ عِلْمٍ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ كَمَثَلِ كَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ^٣.
 إنَّ «تشبيه العلم بالكنز وارد في مجرد عدم النفع في الانتفاع والإنفاق منهما لا في أمر آخر، وكيف لا والعلم يزيد بالإنفاق، والكنز ينقص، والعلم باقٍ، والكنز فانٍ» ^٤. هذا التشبيه على نحو قولهم: (النحو في الكلام كالمالح في الطعام) في الإصلاح باستعمالهما، والفساد بإهمالهما، لا في القلة والكثرة» ^٥.

- المشبه هو علم لا ينتفع به، والمشبه به هو كثر لا ينفق منه في سبيل الله تعالى، ووجه الشبه في هذا التشبيه هو إهمال ما فيه النفع. يلاحظ في هذا التشبيه أن وجه الشبه يكون في بعض الصفات المشتركة بين الطرفين لا كلها. إذ يكفي لعقد المشابهة اشتراك الطرفين في صفة قائمة. إنَّ هذا التشبيه الذي يمثل جانباً من البلاغة النبوية السامية، قد تضمّن الدعوة إلى أمرين في آنٍ واحدٍ: الأمر الأول: حثُّ كلِّ عالم صحَّ علمه، على نشر هذا العلم، وعدم البخل به. الأمر الثاني: حثُّ كلِّ ذي كثرٍ وثروة

^١ - المرجع نفسه، ج ٣، ص ٣٤٥.

^٢ - الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، ج ١١، ص ٣٥٥٩.

^٣ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ١، ص ٩٢.

^٤ - الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن ج ٣، ص ٢٣٦.

^٥ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٦٥.

على الإنفاق في سبيل الله تعالى، لا في سبيل الشيطان. ولا شك أننا إذا نظرنا من جهة دينية معنوية فإننا سنجد أن إنفاق المال في سبيل الله تعالى يكون سببا لنمائه وزيادة في بركته، كما أننا نجد أن نشر العلم يسبب نماءً وازدياده، لذلك تفتتح أمام هذا العالم الذي نشر علمه آفاق جديدة من العلم ما كانت لتنتفح لولا النشر والإنفاق. فالبلاغة النبوية العالية في هذا التشبيه تمثلت في عدم الاقتصار على المشبه وإحاقه بالمشبه به، بل شمل الحكم كلاً من المشبه والمشبه به بالدعوة إلى لزوم حصول الإنفاق فيهما جميعاً على حدّ سواء.

ثالثاً: احتمال وجه الشبه لأكثر من تأويل

إنّ من البلاغة العالية أن يكون وجه الشبه محتملاً لأكثر من تأويل، وهو أمر يدعو العلماء إلى التسابق في تعيين وجه الشبه الأرجح، وهذا ما نجده بكثرة في الحديث الشريف، مثال ذلك ما روي عن عمّار - رضي الله عنه - قال:

١ - سمعتُ رسولَ الله (ص) يقول: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مِثْنَةٌ مِنْ فِقْهِهِ. فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ. وَإِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»^٢.
قال النووي: «قال القاضي عياض: فيه تأويلان:

● أحدهما: أنه ذم، لإمالة القلوب وصرفها بمقاطع الكلام حتى يكسب آبق الإثم به، كما يكسب بالسحر.

● والثاني: أنه مدح، لأنّ الله تعالى امتنّ على عباده بتعليمهم البيان، وشبّهه بالسحر لميل القلوب إليه، وأصل السحر الصرف والبيان، يصرف القلوب إلى ما يدعو إليه، وهذا التأويل الثاني هو الصّحيح المختار.

- وقيل: أراد التلبس عليهم فيصير بمنزلة السحر الذي هو تخييل بما لا حقيقة له.
- وقيل: أراد به أن من البيان ما يكتسب به صاحبه من الإثم ما يكتسب الساحر بسحره.^٣

^١ - علامة، الصحاح، مادة متن.

^٢ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ١، ص ٤٢٢.

^٣ - النووي، شرح صحيح مسلم، ج ٦، ص ١٥٨-١٥٩.

يبدو أن بلاغة هذا الحديث الشريف تتمثل في ما يلي:

لا شك أن الإيجاز أحد مواضيع علم المعاني المهمة وتظهر أهميته في أنه يجمع بين قصر العبارة وكمال المعنى، فقصر العبارة لا يخلل بأدائها المعنى كاملاً غير منقوص. ولا فرق بين أن يكون قصر العبارة ناتجاً عن حذف بعض كلماتها، أو أن لا يكون ناتجاً عن حذف شيء منها. فالبيان الذي يؤديه الإيجاز بنوعيه إنما يدل على بلاغة سامية شَبَّهها الرسول الأعظم (ص) بالسَّحَر الذي يمتلك القلوب، وتستسلم له النفوس. فالبيان هو المشبَّه والسحر هو المشبَّه به ودليلنا في هذا الرأي أن الرسول الأكرم (ص) قد أمر في هذا الحديث بإيجاز الخطبة دون الإخلال بالمعنى المراد. وفي هذا دليل على وجوب أن يكون الخطيب أبلغ القوم. وتجدر الإشارة إن «من» في الحديث الشريف تبعيضية، لذا فالمشبه هو بعض البيان وهذا يبيِّن دقَّة الرسول (ص).

رابعاً: الغرابة في وجه الشبه

التشبيه البعيد الغريب هو « ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر، لخفاء وجهه في بادئ الرأي^١. وسبب الغرابة هو كون المشبه به كثير التفصيل، أو نادر الحضور في الذهن. وفي الحديث النبوي بعض التشبيهات الغريبة، نشير إلى نموذجين منها:

١- قال رسول الله (ص): «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ. اقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ^٢: الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَهْمًا غَمَامَتَانِ. أَوْ غَيَاتَانِ^٣. أَوْ فُرْقَتَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ. تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا...»^٤

قال الزمخشري: « شَبَّهَهَا أَوْلَاً، بِالنَّيْرِينَ لِنَبِّهَ عَلَى أَنَّ مَكَانَيْهِمَا مِمَّا عَدَاهُمَا مَكَانَ الْقَمَرَيْنِ بَيْنَ سَائِرِ النُّجُومِ فِيمَا يَتَشَبَّعُ مِنْهُمَا لِدَوِي الْأَبْصَارِ، ثُمَّ أَوْقَعَ قَوْلَهُ (ص): "الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ" بَدَلًا

^١ - الخطيب القزويني؛ الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٣٧.

^٢ - تننية الزهراء، تأنيث الأزهر، وهو المضيء الشديد الضوء. الزهراوين: علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.

^٣ - كل ما أظلم الإنسان فوق رأسه كالسحابة والغبرة والظل، ونحو ذلك. المعجم الوسيط، مادة: أغيا.

^٤ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ١، ص ٦٥٤.

منهما مبالغة في الكشف والبيان، كما تقول: "هل أدلك على الأكرم والأفضل؟ فلان" وهو أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك: "هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل"، لأنك ثبتت ذكره مجملًا أولاً، ومفصلاً ثانياً، وأوقعت البقرة وآل عمران تفسيراً وإيضاحاً للزهاوين فجعلتهما علمين في الإشراق والإضاءة^١

الغرابية في هذا التشبيه هي أنه (ص) شبه سورتي البقرة وآل عمران أولاً بالنيرين في الإشراق وسطوع النور، فوجه الشبه الهداية سواء أكانت مادية أم معنوية، هذا هو التشبيه الأول، وثانياً بالغمامة والغيابة وفريقين من طير صوافٍ ووجه الشبه الخير والبركة والنجاة؛ أي: أن هاتين السورتين المباركتين تدافعان عن قارئتهما يوم القيامة وهما في مكان سامٍ عند الله تعالى، لذلك لا يُردُّ دفاعهما، لأن القرآن المجيد هو والرسول الأعظم (ص) وأهل البيت (ع) هم جميعاً الوسيلة إلى الله تعالى: قال عز وجل: «... وابتغوا إليه الوسيلة...»^٢

٢- قال رسول الله (ص): «مَنْ رَأَى عَوْرَةَ فَسْتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْؤُودَةً»^٣.

وجه الشبه هنا خفيّ غامض، وهذا من التشبيهات الغريبة الجميلة. قال الطيبي: «... ووجه تشبيه السّتر على عيوب الناس بإحياء المَوْؤُودَة، أن من انتهك ستره يكون من الخجالة كميتٍ ويجب الموت منها، فإذا ستر أحد على عيبه فقد دفع عنه الخجالة التي هي عنده بمنزلة الموت»^٤. وقال صاحب (الكشاف): «فيه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها، ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها، لأن المعترض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعاً عظم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها»^٥.

^١ - جار الله الزمخشري، الكشاف، ج١، ص١٦.

^٢ - المائدة: ٣٥، الإسراء: ٥٧.

^٣ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج٣، ص١٣٩٠.

^٤ - الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، ج٩، ص٢٣٥.

^٥ - جار الله الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٦٢٧.

وإنَّ وجه الشبه هو الأمر العظيم، يعني من ستر عيبَ مسلم فقد ارتكب أمراً عظيماً كَمَنَ أحيا مؤؤودةً، فإنه أمرٌ عظيمٌ فيدلُّ على فخامة ذلك العمل، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾^١. فكذلك من أراد أن يستر عيبَ مؤمن وعرضه إذا تصوّر أنه أحيا المؤؤودة، عظم عنده سترُ عورةِ المؤمن، فيبذلُّ الجهد.

خامساً: كون وجه الشبه معلوماً

تبيان وجه الشبه وإبرازه في الحديث النبوي، إن اقتضى المقام ذلك، عملٌ بلاغي وديني عظيم، فهو بلاغي، لأنه (ص) سيد البلاء، وهو عمل ديني، لأنه ما لم يفهم وجه الشبه لم يفهم التشبيه، ومن ثم لم يفهم المراد من كلامه (ص) المتضمن لهذا التشبيه، وحينذاك يتعد الخيال. من لا يعرف أسرار العربية عن الطريق المستقيم، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من آثار وأخطار.

في ما يلي بعض الأحاديث النبوية مبيّناً فيها وجه الشبه:

١ - قال النبي (ص) في صفة خروج روح المؤمن: «فَتَخْرُجُ وَتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنَ السَّقَاءِ»^٢، وقال (ص) في صفة نزع روح الكافر: «ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْحَيَّةُ أَخْرَجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ» قال: «فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ»^٣.

قال الطيبي: «إن روح المؤمن تخرج وتسيل كما تسيل القطرة من السقاء فرحاً إلى ما تقرّ به عينه من الكرامة والنعيم، ثم شَبَّه نزع روح الكافر بنزع السفود، وهو الحديد التي يشوى بها اللحم فيبقي معها بقية من الخروق فيستصحب عند الجذب مع قوةٍ وشدّةٍ شيئاً من ذلك الصوف، وبعبارة شَبَّه خروج روح المؤمن من جسده بترشيح الماء وسيلانه من القربة المملوءة ماءً مع سهولة ولطف»^٤.

^١ - المائدة: ٣٢.

^٢ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ١، ص ٥١٢-٥١٥.

^٣ - المرجع نفسه.

^٤ - الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن ج ٣، ص ٢٣٤.

- المشبه هو خروج روح المؤمن والمشبه به هو خروج القطرة من السماء، والوجه سهولة الخروج. والمشبه في الحديث الثاني هو خروج روح الكافر والمشبه به هو نزع السفود من الصوف المبلول، ووجه الشبه هو الصعوبة وتحمل الأذى والألم. والذي نراه أنه لا شك أن مصيبة الموت أعظم مصيبة تواجه الإنسان حتماً، وأن لا مفرّ منها. لذلك فإننا نرى أن البلاغة النبوية السامية في هذا الحديث الشريف قد اشتملت على الدعوة إلى الإيمان للتخلص من شدة عذاب هذه المصيبة العظمى، ولكي تتحوّل إلى أيسر ما يمكن.

٢- قال رسول الله (ص): «أَلَا إِنَّ مَثَلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ»^١.

- المشبه هو أهل البيت (ع) والعمل بإرشاداتهم، والمشبه به هو سفينة نوح، وصفة المشبه أنه تحصل منه النجاة المعنوية وتحصل من المشبه به النجاة المادية. صفة سفينة نوح أنها من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك، ووجه الشبه: النجاة وعدم النجاة. شبه (ص) الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات والبدع والجهالات ببحرٍ لحيّ متلاطمٍ وقد أحاط بالأرض كلّها، وليس منه خلاص ولا مناص إلا تلك السفينة، وهي محبة أهل بيت رسول الله (ص) والعمل بمداهم.

تشبيه التمثيل

قال الشيخ عبد القاهر: «هو الذي ينتزع من عدّة أمورٍ ويحتاج فهمه إلى دقّةٍ وتأملٍ، إنما طريقه التأوّل، يتفاوت تفاوتاً شديداً فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه، ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأوّل، ومنه ما يدقّ ويغمض حتى يحتاج في استخراجِه إلى فضل رويّةٍ ولطف فكرةٍ»^٢ «عند الجمهور هو ما كان وجهه منتزعا من متعدّد، سواء كان حسيّاً مثل قول بشرار (من الطويل):

كأنّ منارَ النَّعَمِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وأسيافنا ليلٌ تهاوَى كواكبُه

^١ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ٣، ص ١٧٤٢.

^٢ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٧٠-٧٣.

فوجه الشبه هو الحياة الحاصلة من هويّ أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم. أو غير حسي، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^١ فوجه الشبه هو « حرمان الانتفاع بأبلغ شيء نافع مع الكدّ والتعب في استصحابه ».^٢ فيما يلي نموذجان من التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي:

١- قال رسول الله (ص): «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النَّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ».^٣

- قوله (ص): «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النَّفَاقَ» معناه: الغناء سبب للنفاق، ويؤدّي إليه، وأصله وشعبته، وهذا تشبيه تمثيلي، لأنّه منتزع من عدّة أمور متوهّمة. المشبه به هوائيات الغناء للنفاق والمشبه به هوائيات الماء للزرع. شبهت حالة إنبات الغناء النفاق في القلب بحالة إنبات الماء للزرع. والوجه هو الحياة الحاصلة من حدوث شيء إثر علة حاصلة. فكما أنّ حياة الزرع بالماء كذلك حياة النفاق بالغناء وغيره من المؤثرات وإن كان المؤثر الرئيسي هو الغناء والترتب في الظهور هو الوجه المشترك بين الجانبين، فإن أردنا أن نزيل النفاق فعلياً الاجتناب من التعلق بالغناء. للنفاق مؤثرات عدّة لكنّ الغناء هو العلة الغائية كما أنّ للزرع مؤثرات عدّة كجودة التراب لكنّ العامل الرئيسي هو الماء.

٢- قال رسول الله (ص): «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، وَمَا أَنَا وَالِدُنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَضَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ،

ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».^٤

- قوله (ص): «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا»، أي: إنني عن الدنيا في شغل شاغل، وليس لي علاقة بالدنيا ولا أهتمّ بها. وبلاغتها في أنه (ص) قال: ليس حالي مع الدنيا إلا كحال رايكبٍ مستظلّ. والمشبه هو الإنسان المتحرك طيلة عمره مع الحركة والمشبه به هو الإنسان المستظل تحت الشجرة مدّة وهو من التشبيه التمثيلي، ووجه التشبيه: هيأة سرعة الرّحيل وهيأة اللّتجاء إلى شيء متنقل لا دوام له ولا استمرار، وقليل المكث، ومن ثمّ خصّ الراكب.

^١ - الجمعة: ٥.

^٢ - محمد فاضلي، دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة، ص ١٦٢.

^٣ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ٣، ص ١٣٥٥.

^٤ - المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٤٣٣.

التشبيه البليغ

التشبيه البليغ: هو ما حذف منه الوجه والأداة، كقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ

لَهُنَّ﴾^١، والبيان النبوي غني بالصور البيانية من التشبيه البليغ. ومن الصور البيانية الجميلة التي ينطبق عليها تعريف التشبيه البليغ، الأمثلة التالية:

١- سُئِلَ النَّبِيُّ (ص) عن تربة الجنة؟ فقال: «دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ، مِسْكٌ خَالِصٌ».^٢

قوله (ص): «دَرْمَكَةٌ» قال في (النهاية): «الدَّرْمَكَةُ: التراب الرقيق والدقيق الحواري».^٣
- المشبه هو تراب الجنة والمشبهان بهما، هما دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ، مِسْكٌ خَالِصٌ، شبه (ص) «تربة الجنة» بما لبياضها ونعومتها، وبالمسك لطيبها. فهو تشبيه الجمع أيضاً.

٢- قال رسول الله (ص): «أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا».^٤

- في الحديث تشبيهان، الأول في «أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ» والثاني في «وَعَلِيٌّ بَابُهَا»، المشبه كلمتا (أنا وعلي) والمشبه به هما (دار الحكمة وبابها) وقد جاء المشبه به حيراً للمشبه. ولا شك أن البلاغة النبوية في هذين التشبيهين تتمثل في اشتماهما على بيان أن الحكمة الإلهية لا توجد إلا عند الإمام علي (ع)، ولا تؤخذ إلا منه (ع)، فهو الطريق الوحيد للحصول عليها؛ لأن الرسول الأعظم (ص) لم يودع هذه الحكمة العالية إلا عند الإمام (ع)، فهو الباب إليها، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها. وقد قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.^٥

أغراض التشبيه

إن التشبيه من فطرة الإنسان لإيجاد العلاقة بين الأشياء المجهولة، والعرب في مقدمة الأمم في اهتمامهم بالتشبيه، وكثرة استعمالهم له، قال المبرد: «والتشبيه جارٍ كثير في كلام العرب، حتى لو قال

^١ - البقرة: ١٨٧.

^٢ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح ج ٣، ص ١٥١٩.

^٣ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ١١٤.

^٤ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ٥، ص ٢١٣٦.

^٥ - البقرة: ١٨٩.

قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد^١. من الأغراض العامة للتشبيه «المبالغة»: منها ما تكون المبالغة في المشبه به، ومنها ما تكون ببعض القيود التي تلابسه. والحقيقة: أن المبالغة هي من أهم أغراض التشبيه إن لم تكن أهمها ويجدر الإشارة إلى أن البلاغة التي نذكرها في التشبيه غير البلاغة التي تعتبر من الصناعات البديعية والتي تقسم إلى ثلاثة أقسام. ويعلل علي الجندي حول وجود البلاغة في التشبيه قائلاً: «وسرُّ ذلك أنك لم تردد شبيه الشيء بغيره إلا وأنت تقصد به تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، فيستفاد من ذلك المبالغة فيما قصد من التشبيه على جميع وجوهه من مدح أو ذم أو ترغيب أو أكبر أو أصغر. وهذا القول ينسحب على جميع وجوه التشبيه، فإنه لا يخلو من إفادة المبالغة في حال من الأحوال، وإلا لم يستحق أن يكون تشبيهاً، لأن إفادة المبالغة هي مقصده الأعظم، وبابه الأوسع^٢. ويقول علي العماري خلال حديثه عن أغراض التشبيه: «غير أن مبنى التشبيه على المبالغة. فينبغي أن يكون المشبه به في كل هذه الأغراض زائداً على المشبه في وجه الشبه^٣، وفي ما يلي حديث يفيد المبالغة في التشبيه:

١- قال رسول الله (ص): «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رُكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ». ثم قال (ص): «تَامَّةٌ، تَامَّةٌ، تَامَّةٌ»^٤.

- المشبه هو أحر المصلّي بالصفات المذكورة في الحديث الشريف والمشبه به هو أحر الحاجّ والمعتبر. قوله (ص): «كَأَجْرِ حَجَّةٍ» من باب إلحاق الناقص بالكامل مبالغة في ترغيب المصلّي. أو شبه استيفاء أحر المصلّي تاماً باستيفاء أحر الحاج تاماً، وأما وصف الحجّة والعمرة بالتامة فإشارة إلى المبالغة في تشويق المتلقي وترغيبه لإنجاز هذا العمل العبادي العظيم.

الأغراض الخاصة بالتشبيه

نتناول في هذا المبحث بعض الأغراض الخاصة التي ذكرها البلاغيون ضمن أغراض التشبيه، منها:

^١ - المبرد؛ الكامل في اللغة والأدب، ج ٢، ص ٧٩.

^٢ - علي الجندي، فن التشبيه، ج ١، ص ٧٧-٧٨.

^٣ - عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص ٤١.

^٤ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ١، ص ٣٠٦.

بيان حال المشبه

قال السعد التفتازاني: «أي، بيان حال المشبه بأنه على أيِّ وصفٍ من الأوصاف»^١. يراد من بعض التشبيهات النبوية بيان حال المشبه، كما في هذا الحديث الشريف:

١ - قال رسول الله (ص): « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْدُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ »^٢.

- شبه النبي (ص) المسلم بالأخ للمسلم لينبّه على المساواة بين المسلمين عرباً كانوا أو غير عرب، وأن لا يرى أحدٌ لنفسه على أحدٍ من المسلمين فضلاً ومزيةً، ويجب له ما يجب لنفسه، وتحقيره إياه مما ينافي هذه الحالة، ومراعاة هذه الشريطة أمر صعبٌ، لأنه ينبغي أن يسوّي بين السلطان وأدنى العوام، وبين الفقير والغني، وبين القوي والضعيف، والكبير والصغير.

تعظيم المشبه

وردت عدة أحاديث نبوية كريمة، فيها تشبيهات قيّمة تهدف إلى تعظيم المشبه ورفعته ومدحه والتنويه به، وهدف هذا التعظيم للمشبه هو غرس القيم الفاضلة، وتأسيس المثل العليا في النفس البشرية. ومن الأحاديث التي ورد فيها تعظيم المشبه، ما يلي:

١ - قال (ص) في صفة المتحايين في الله: «فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهُهُمْ لَنُورٌ، وَإِئْتِمُّ لَعَلَى نُورٍ»^٣.

- قول النبي (ص) « وَإِئْتِمُّ لَعَلَى نُورٍ » هو تمثيل لمزلتهم ومحلهم، مثلها بما هو أعلى ما يجلس عليه في المجالس والمحافل، على أحسن الأوضاع وأشرفها، من جنس ما هو أسمى وأحسن ما يشاهد، ليدلّ على أن رتبته في الغاية القصوى من العلاء والشرف والبهاء^٤. هذا إضافة إلى ما في الحديث الشريف من القسم الدال على أن ذلك حقيقة، وليس تشبيهاً ساذجاً. ولا ننسى التشبيه في أول الحديث الشريف، حيث شبه الرسول الأكرم (ص) وجوههم بالنور، وليست موصوفة بأن فيها نور، بل هي نفس النور.

^١ - شروح التخليص، مختصر السعد، ج٣، ص ٣٩٧.

^٢ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج٣، ص ١٣٨٥.

^٣ - المرجع نفسه، ج٣، ص ١٣٩٦.

^٤ - الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، ج٣، ص ٢٣٥.

تقبيح المشبه

إنَّ أصول دعوة الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- هو الحثُّ على الخير والدعوة إليه، فإن من واجبه ومنهجهم في دعوتهم التحذير من الشرِّ والنهي عنه، سواء كان هذا الشرُّ فكرة زائغة، أو خلقاً مريضاً، أو عملاً رديئاً، ونحو ذلك... لذلك نجد رسولنا الأكرم (ص) وهو قدوة الأنام يهتم بهذا الجانب التربوي العظيم، ويبادر إليه بوسائل متعددة في مقدمتها تقبيح الشرِّ بتصويره بأشنع الصور كي تنفر النفس منه فتعجزه وتبادر إلى الخير. وقد كشفنا عن الصورة البيانية في الحديث النبوي التالي الذي رسم فيه المصطفى (ص) صورةً من التشبيه يراد من ورائها تقبيح المشبه والازدراء به، والتنفير عنه:

١- قال رسول الله (ص): «إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِغَ مِنَ الرِّجَالِ، الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ

الْبَاقِرَةُ بِلِسَانِهَا»^١.

- هذا الحديث يرسم صورة رائعة دقيقة لأولئك الذين اتخذوا من البيان وسيلة للتشدد والتفاسح والفسفسطة. شبه النبي (ص) إدارة لسان المتشدد حول الأسنان والفم حال التكلّم تفاسحاً وتفاححاً للتكسّب، بما تفعل البقرة بلسانها، تديره وهي تلفّ به الكلاً لفاً.

الإيناس

ويراد به بثّ الأئس والأمان في نفوس المخاطبين حتّى يسألوا عمّا بدا لهم، كما في الحديث التالي:

١- قال رسول الله (ص): «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ أُعَلِّمُكُمْ: إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا

تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا»^٢.

- قوله (ص): «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ»: هو بسطٌ للمخاطبين، وتأنيس لهم لئلاّ يَحْتَشِمُوهُ،

ولا يستحيوا عن مسألته فيما يعرض لهم من أمر دينهم كما لا يستحيي الولد عن مسألة الوالد في ما عنّ وعرض له. وفي هذا بيان وجوب طاعة الآباء، وأنّ الواجب عليهم تأديب أولادهم، وتعليمهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين.

^١ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ٢، ص ٢٣٥.

^٢ - المرجع نفسه، ج ١، ص ١١٢.

الزجر

قد يلاص بعض التشبيهات النبوية بعض الكلمات مثل (خرج) في الحديث الآتي، مما يضيفي على التشبيه حالة من الزجر تؤثر في نفوس المخاطبين، كما نرى في الحديث التالي:

١ - قال النبي (ص): « إِذَا زَنَى الْعَبْدُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ، فَكَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ كَالظُّلَّةِ فَإِذَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ عَادَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ ».^١

قال الطيبي: « إِنَّ الْخُرُوجَ وَالتَّظْلِيلَ تَمَثِيلٌ، وَإِنَّهُ مِنْ بَابِ التَّغْلِيظِ وَالتَّشْدِيدِ فِي الْوَعِيدِ. وَتَعْيِيرًا أَوْ تَنْكِيْرًا، لِيَنْتَهِيَ عَمَّا صَنَعَ، وَاعْتِبَارًا وَزَجْرًا لِلْسَّامِعِينَ، وَتَنْبِيْهًُا عَلَى أَنَّ الزَّنَا مِنْ شِيْمِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَأَعْمَالِهِمْ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ كَالْجَمْعِ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضِينَ. »^٢

- شبه الإيمان الذي خرج من الزاني بالظلة، لا يرجع الإيمان إلى مكانه إلا بعدما ترك الزاني عمله تركاً لا رجعة فيه وتاب عنه.

التشابه

قال الخطيب القزويني: «إِن أُرِيدَ مَجْرَدُ الْجَمْعِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي أَمْرٍ، فَالْأَحْسَنُ تَرْكُ التَّشْبِيْهِ إِلَى الْحُكْمِ بِالتَّشْبَاهِ، لِيَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّرْفَيْنِ مَشْبَهًا وَمَشْبَهًا بِهِ، احْتِرَازًا مِنْ تَرْجِيْحِ أَحَدِ الْمُتَسَاوِيَيْنِ عَلَى الْآخَرِ. »^٣

نرى في ما يلي مثلاً من التشابه في الكلام النبوي الشريف:

١ - عن جعفر بن أبي طالب (ع) في قصة رجوعه من أرض الحبشة، قال: فخرجنا حتى أتينا المدينة، فتلقاني رسول الله (ص) فاعتنقني. قال: «مَا أَذْرِي: أَنَا بَفَتْحِ خَيْبَرَ أَفْرَحُ، أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ؟»^٤

^١ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥.

^٢ - الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، ج ٣، ص ٣٦٨.

^٣ - الخطيب القزويني، الإيضاح، ج ٢، ص ٣٦٣.

^٤ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ٣، ص ١٢٦.

- قوله: «أَنَا يَفْتَحُ خَيْرَ أَفْرَحٍ، أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ؟» هذا الأسلوب من باب العدول إلى التشابه من التشبيه. ففتح خير على يد أمير المؤمنين علي (ع) وقدم جعفر متشابهان دون ترجيح من جهة فَرَح النبي (ص) بهما ومن جهة كونهما عمليين عظيمين لخدمة الإسلام.

صلة التشبيهات النبوية بالقرآن الكريم:

نحاول ربط بعض التشبيهات النبوية ببعض الآيات القرآنية، وذلك إذا كان التشبيه في الحديث النبوي الشريف يتطلب إيضاحه الإمام ببعض الآيات القرآنية، كما سيظهر من المثالين التاليين:

١- قال رسول الله (ص): «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا، جَعَلَ الْفَرَّاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا. وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ، وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَفَحَّمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحِجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَحَّمُونَ فِيهَا»^١.

قال الطَّبَّي: «واعلم أن تحقيق هذا التشبيه موقوف على معرفة معنى قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^٢. وذلك أن حدود الله هي محارمه ونواهيه كما قيل: «أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ»^٣ ورأس المحارم حبّ الدنيا وزينتها، واستيقاء لذاتها وشهواتها، شبّه (ص) إظهاره تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستيقاء الرجال النار، وشبّه فشودلك في مشارق الأرض ومغارها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد. وشبّه الناس وعدم مبالاهم بذلك البيان والكشف، وتعديهم حدود الله، وحرصهم على استيقاء تلك اللذات والشهوات ومنع (ص) إيّاهم عنه بأخذ حجزهم بالفراش التي يقتحمن في النار، وتغلبن المستوقد على دفعه إيّاها الاقتحام، وكما أنّ المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاهتداء والاستدفاء وغير ذلك، والفراش لجهلها جعلته سبباً لهلاكها، كذلك كان القصد بتلك البيانات هو اهتداء الأمة واحتماؤها عمّا هو سبب هلاكهم، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها موجبة لترديهم»^٤.

^١ - المصدر السابق، ج ١ ص ٥٣.

^٢ - البقرة: ٢٢٩.

^٣ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ٢، ص ٨٤٣.

^٤ - الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، ج ٢، ص ٦١٤-٦١٥.

- إن الإنسان حين يقرأ الحديث المتقدم يتذكر قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^١ لوجود تشابه لفظي ظاهري بين القسم الأول من العبارتين، هذا الأمر إنما يبدو لأول وهلة. لكن الحقيقة أن هناك فرقاً كبيراً بين التشبيهين؛ لأن النار في الآية الكريمة أطفأها الله تعالى لتحصل ظلمة مضاعفة أشد من الظلام السابق. فالغرض من هذا التشبيه بيان مقدار شدة هذه الظلمة التي أحاطت بذلك الذي استوقد تلك النار. أما النار التي في الحديث الشريف فلم يطفئها الله تعالى بل هي مستمرة فالغرض هو أن هذه النار هي نار الهداية. لكن الجهلاء استخدموها وسيلة لهلاكهم.

٢- قال (ص) يصف بئر ذروان التي وضع له فيها لبيد بن الصم اليهودي السحر: «هذه البئرُ التي أُرِيَتْهَا وَكَانَ مَاءَهَا نُفَاعَةً حِنَاءٍ وَكَانَ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ»^٢
قال التوربشتي: أراد بالنخل طلع النخل وإنما أضافه إلى البئر، لأنه كان مدفوناً فيها، وأما تشبيه ذلك برؤوس الشياطين، فلما صادفوها عليه من الوحشة والنفرة وقبح المنظر، وكانت العرب تعدُّ صور الشياطين من أقبح المناظر ذهاباً في الصورة إلى ما يقتضيه المعنى»^٣

- وأياً ما كان فإن الإتيان بهذا المنظر في الحديث مسبوق بنص القرآن الكريم في التمثيل، قال سبحانه تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^٤. ولا شك أن التقييح واضح في هذا الحديث الشريف.

^١ - البقرة: ١٧.

^٢ - الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ٣، صص ١٦١٥-١٦٥٢.

^٣ - علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج ١١، ص ١٨٣.

^٤ - الصفات: ٦٥.

الخلاصة:

بحثنا في هذه المقالة عن مكانة التشبيه عند أفصح من نطق بالضاد، واتضحت مكانته العالية عنده (ص) وعلمنا أن النبي (ص) كان يستخدم هذا الفن البلاغي لتقريب المعاني المعقولة إلى إدراك السامعين وكثير من كلامه المأثور يحتوي على صور التشبيه خاصة التشبيه البليغ الذي احتل مكانة مرموقة في البيان النبوي. وعلة هذا الأمر ترجع إلى الدور البليغ لهذا النوع من التشبيه في نقل المعنى وقدرته على تقريب المعنى إلى أذهان المخاطبين. والشيء الملفت للانتباه هو سهولة ورقة لغة التشبيه عنده (ص) بحيث يمكن استخراج وجه الشبه في أكثر التشبيهات النبوية. والعلة في هذا الأمر ترجع إلى أنه (ص) أراد نقل المعنى متلازماً مع شيء من التشبيه ليحلّ في ذهن الناس ولهذا نراه (ص) يتجنب عن خلق الصور الغامضة والمعقدة. وقد ذكرنا في نهاية المقالة صلة التشبيهات النبوية بالآيات القرآنية ووجدنا أن كلامه (ص) كان يتأثر بالقرآن أكثر التأثير.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ١- ابن الأثير، ضياء الدين؛ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، د.ت.
- ٢- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري؛ جامع الأصول في أحاديث الرسول، ت: عبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ .
- ٣- ابن كثير؛ البداية والنهاية، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، دارالكتب، ١٩٩٥م.
- ٤- أبو موسى، محمد حسنين؛ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، د.ت.
- ٥- الجرجاني، عبد القاهر؛ أسرار البلاغة، ت: ه. ريتز، الطبعة الثالثة، بيروت، دار المسيرة، ١٤٠٣هـ.
- ٦- _____؛ دلائل الإعجاز، ت: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ.

- ٧- الجندي، علي؛ فن التشبيه، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨٦ هـ.
- ٨- الجوهري، إسماعيل بن حماد؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد بن الغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.
- ٩- الخطيب التبريزي، محمد بن عبدالله؛ مشكاة المصابيح، ت: محمدناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ.
- ١٠- الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن؛ الإيضاح في علوم البلاغة، ت: د. عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الخامسة، دارالكتاب اللبناني، ١٤٠٣ هـ.
- ١١- _____؛ التخليص في علوم البلاغة، ت: عبدالرحمن البرقوقي، دارالفكر العربي، د.ت.
- ١٢- الرازي، فخر الدين؛ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ت: د. إبراهيم السامرائي، ود. محمد بركات حمدي أبوعلی، الأردن، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان، ١٩٨٥ م.
- ١٣- الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد؛ المفردات في غريب القرآن، ت: محمد سيد الكيلاني، مكة، دارالباز، د.ت.
- ١٤- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر؛ أساس البلاغة، ت: عبدالرحيم محمود، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢ هـ.
- ١٥- _____، الفائق في غريب الحديث، ت: علي محمد البحاوي، محمد أبوالفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧١ م.
- ١٦- _____؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت: مصطفى حسين أحمد، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٤٠٦ هـ.
- ١٧- السكاكي، أبويعقوب يوسف بن أبي بكر محمد؛ مفتاح العلوم، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، د.ت.
- ١٨- شروح التخليص، للتفتازاني، والمغربي، والسبكي، والقزويني، والدسوقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بمصر، د.ت.

- ١٩- الشريف الرضي، محمد بن حسين؛ **المجازات النبوية**، ت: طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأخيرة، مصر، شركة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩١ هـ.
- ٢٠- النووي؛ **صحيح مسلم**، الطبعة الثالثة، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٦ م.
- ٢١- الطيبي، حسين بن علي؛ **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن**، تحقيق عبدالحميد هنداوي، الطبعة الثانية، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤٢٥ هـ.
- ٢٢- العماري، علي، البيان، مكتبة الجامعة الأزهرية، د.ت.
- ٢٣- فاضلي، محمد، **دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة**، جامعة فردوسي مشهد، ١٣٧٦ هـ.ش.
- ٢٤- القاري، علي بن سلطان محمد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، باكستان، المكتبة الإمدادية، ١٣٩ هـ.
- ٢٥- لاشين، عبد الفتاح؛ **البيان في ضوء أساليب القرآن**، الطبعة الأولى، دار المعارف، ١٩٨٤ م.
- ٢٦- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد؛ **الكامل في اللغة والأدب**، بيروت، مكتبة المعارف، د.ت.
- ٢٧- النووي، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج٨، الطبعة الثانية، مصر، دار الكتب المصرية، ١٩٧٦ م.

Studying the Different Forms of Metaphor in the Sayings of our Prophet (Peace Be Upon Him)

Dr. Mohammad Ibrahim Khalifa Shushtari*, Dr. Ali Akbar Noreside**

Abstract

Metaphor is one of the superior literary styles of Arabs and is a criterion for identifying and measuring their astuteness and skillfulness. Some of the beauty in speeches or sentences is related to metaphor. Without any doubt, the messenger of God (Peace Be Upon Him) was at the peak eloquence. He was speaking to the Arab tribes in their own language and accent in the possible articulate and eloquent way. The aim of this paper is to study the style of metaphor and its manifestation in the speaking and sayings of the prophet (Peace Be Upon Him). It wants to portray a small piece of the eloquence of our prophet. Another aim of this paper is to find a proper answer for the following questions: what is the position of metaphor in saying of prophet (Peace Be upon Him)? What kind of styles of metaphor was used by him? What is the practical role of metaphor in conveying the meaning and making it close to the mind of the addressed person? Is it that our prophet has been under the influence of the Quran in his words and, in case of positive answer, how much was the influence? Our method in this research is choosing some of the traditions (Hadiths) of our prophet in which he has used metaphor and portrayings these metaphors. We have tried to complete what has been said and provide what has not been said.

Key words: metaphor, metaphors of prophet, simile, types of simile.

* Associate Professor in Arabic Language and Literature Department at shaheed Beheshti University, Iran.

** Assistant Professor in Arabic Language and Literature Department at Shaheed Beheshti University, Iran.

بررسی صور تشبیه در فرمایشات پیامبر(ص)

دکتر محمد ابراهیم خلیفه شوشتری*

دکتر علی اکبر نورسیده**

چکیده:

تشبیه از اسلوب های بیانی عرب است و معیاری است برای تشخیص میزان زیرکی و مهارت آنان. برخی از زیبایی های سخن به تشبیه برمی گردد. بی تردید رسول خدا(ص) در اوج فصاحت و جامع بلاغت و بر قله بیان بود. ایشان با قبائل عرب به زبان و لهجه خودشان آنهم با شیواترین و بلیغ ترین حالت ممکن سخن می گفتند. این مقاله در صد پژوهش در فن تشبیه و جلوه های آن در فرمایشات رسول خداست تا گوشه ای از بلاغت و فصاحت نبوی را به تصویر بکشد. شیوه ی ما در این پژوهش انتخاب تعدادی از احادیث نبوی است که در آن فن تشبیه بکار رفته و به تصویر کشیدن این صورت هاست. پیداست که به کارگیری این فن بلاغی در کنار دیگر فنون بلاغی که در بردارنده ی معانی والایی می باشد تأثیر زیادی بر عربی داشته که بیش از نیزه در برابر زبان تسلیم می شود و از مهمترین عوامل سیادت ایشان بر دل های مسلمانان می باشد. چرا که شکل به تنهایی قدرت چندانی در مخاطب ندارد و الفاظ خشک و بی روحی بیش نیستند. در این مقاله دریافتیم که پیامبر (ص) در میان انواع تشبیه بیش از همه از تشبیه بلیغ استفاده می کردند چون قدرت نقل معنی در این نوع تشبیه بیشتر است. و نکته ی قابل توجه روانی زبان احادیث نبوی است به گونه ای که با تیزبینی می توان پیام موجود در ورای این الفاظ را دریافت.

کلید واژه ها: تشبیه، فرمایشات پیامبر(ص)، تشابه، اقسام تشبیه

* - دانشیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شهید بهشتی، تهران، ایران.

** استادیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شهید بهشتی، تهران، ایران. noresideali@gmail.com

تاریخ دریافت: ۱۳۹۰/۱۰/۱۵ = ۲۰۱۲/۰۱/۰۵ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۱/۰۲/۲۰ = ۲۰۱۲/۰۵/۰۹